ثانوية الحسن الثاني بالدروة مؤسسة جديدة بمشاكل معلقة

خصاص في الطاقم الإداري والتربوي ومقاه تروي عطش التلاميذ وأعشاب طفيلية تؤثث فضاء المؤسسة

لم تشفع لا زيارة حبيب المالكي وزير التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر السابق، إلى مؤسسة الحسن الثاني بالدروة (إقليم سطات) خلال الموسم الدراسي الماضي حينما كانت في طور الانجاز، ولا زيارة مدير الأكاديمية والنائب الإقليمي خلال الموسم الدراسي الحالي، (لم تشفع) لوضع حد لمشاكل كثيرة تتخبط فيها ثانوية تأهيلية جديدة، رأت النور خلال الموسم الدراسي الحالي بتراب جماعة الدروة بدائرة الكارة.

تلميذات يستعملن الدراجات للوصول إلى المؤسسة (خاص)

تلاميذ أمام باب المؤسسة (خاص)

يتحدث التلاميذ بالثانوية التأهيلية الحسن الثاني بالدروة عن معاناة وهموم كثيرة، جعلت بعضهم يتسابق، في لقاء لهم ب«الصباح» صباح يوم السبت الماضي بباب المؤسسة، للإدلاء بآرائهم ومحاولة منهم لإبلاغ صوتهم إلى الوزير الجديد عن قطاع التربية الوطنية بعدما لم تنفع زيارة مسؤولين سابقين إلى المؤسسة ذاتها. إنها مشاكل مشتركة في مؤسسة أطلق عليها الساهرون على الشأن التربوي اسم «الثانوية التأهيلية الحسن الثاني» في حين لا شيء يدل على اسمها، باستثناء ما سمعه التلاميذ ربما من أساتذة عينوا فيها مع بداية افتتاحها خلال الموسم الدراسي الحالي، وصادفوا مشاكل كثيرة في مؤسسة «نائية» يؤثث فضاءها الخارجي «الحرث والأتربة» وتغطي الأعشاب الطفيلية ساحتها الداخلية.

كثيرة هي المشاكل التي تتخبط فيها الثانوية التأهيلية الحسن الثاني بالدروة، ما جعل أحد التلاميذ يختزلها في « واقع مؤسستنا ينبئ عن نفسه، فلا داعي للحديث عن مشاكل نعانيها»، جملة حاول من خلالها اختزال المشاكل التي تتخبط فيها مؤسسة تعليمية فتحت أبوابها لأول مرة خلال الموسم الدراسي الحالي.

مشاكل الطريق إلى «الثانوية»

تقع الثانوية التأهيلية الحسن الثاني بجماعة الدروة (إقليم سطات). للوصول إليها انطلاقا من محطة سيارات الأجرة بجوار قيادة وجماعة الدروة لابد من امتطاء عربة مجرورة تسير بالزائر وسط شوارع وأزقة توحي بوجود مشاكل أخرى بالمنطقة، ومشاكل معلقة بمؤسسة جديدة.

وسط الأتربة والغبار يعرج «سائق» العربة ومن بعيد تبدو بناية «جميلة» تبدو حديثة البناء، وبجنباتها جرارات لحرث الأرض وتقليبها، وأمامها آلات لحفر وإنجاز أشغال تجزئات سكنية «مع وقف التنفيذ»، وفي الضفة الأخرى توجد بنايات منزلية عليها آثار النسيان ما جعل أزقتها مملوءة بالحفر والنتوءات ربما حتى إشعار آخر.

المؤسسة في أرقام

فتحت الثانوية التأهيلية «بابها» لاستقبال التلاميذ بداية من الموسم الدراسي الحالي، يدرس بها أزيد من 400 تلميذ، ويشرف عليهم طاقم تدريس يضم أساتذة يعانون مشاكل حقيقية في طريقهم إلى المؤسسة، وأثناء حصص التدريس، حيث «يتطوع» بعضهم لاقتناء لوازم الرياضة، بينما يواصل آخرون مهمتهم بعزم لتدريس الأجيال، وأملهم تحسين وضعية مؤسسة تعاني مشاكل حقيقية لتمكينهم من القيام بمهمتهم على الأقل في ظروف عادية.

أشرف على مشروع بناء هذه المؤسسة، ووضع أولى لبنات تأسيسها وفد عن المملكة العربية السعودية والمجلس القروي للدروة ومسؤولو وزارة التربية الوطنية، واقترحوها في بداية دراسة مشروعها «ثانوية إعدادية» لكن خصاصا أضحت تعانيه جماعتا قصبة بن مشيش والدروة حتم على المسؤولين «تحويلها» إلى ثانوية تأهيلية، ما جعل عملية إنجازها وإتمامها تعرف خللا منذ البداية.

إداري باختصاصات عديدة

أشهر رجل داخل المؤسسة «ورقة غضب» وحاول منع «الصباح» من إنجاز مهمتها، وكأنه يحاول إبلاغ رسالة إلى مسؤوليه، ويبين لهم «حنة يديه»، وقدرته على «ستر» المشاكل ربما رغبة منه في «الحصول على رضاهم»، و«النظر من حاله»، و«تحسين وضعيته».

لم يكن «الرجل «الغاضب» سوى مسؤول تربوي، تحدث التلاميذ نيابة عنه في «كشف المستور». «الرجل» كلفه المسؤولون بمهام كثيرة، وجعلوا منه مشرفا على التسيير الإداري، وحارسا عاما للخارجية، وينظم استعمالات الزمن للتلاميذ والأساتذة، وربما يراسل المسؤولين ويرفع إليهم تقارير كثيرة.

ولم يكن «الرجل الغاضب» وحده رجلا بمهام عديدة، بل «تقاسم» معه شاب في مقتبل العمر «هموما أخرى» و«تطوع للقيام بمهة عون مكلف بحراسة الباب الرئيسي وتنظيف الحجرات والقيام بأعمال أخرى بعدما «نسيه» صاحب المقاولة المكلفة ببناء المؤسسة، وتركه بها يعاني كثيرا، ما جعله «يتطوع» في انتظار ما قد لا يأتي.

الخصاص سمة الثانوية

تأسف التلاميذ عن واقع حال مؤسسة طالما انتظروها، وتسابقوا للإدلاء بآرائهم والتعبير عن محنهم، وكلهم أمل لإبلاغ رسالتهم من خلال «الصباح» إلى المسؤولين عن القطاع.

تفتقر الثانوية التأهيلية الحسن الثاني بجماعة الدروة (إقليم سطات) إلى مرافق كثيرة، منها مراحيض لم تفتح بعد في وجه التلاميذ والأساتذة، مع غياب ربط المؤسسة بشبكة الماء الصالح للشرب، ما يجعل أغلب التلاميذ يلجؤون إلى المقاهي الموجودة بالتجزئات السكنية للحصول على الماء، و دون الحديث عن معاناة التلميذات والأستاذات لقضاء «حاجاتهن»، ويجدن حرجا «كبيرا» في البحث عن مكان يستعملنه «مرحاضا».

ولا توجد طريق معبدة ولا شارع يربط المؤسسة بعالمها الخارجي، ما جعل التلاميذ يفكرون في كيفية الوصول إلى مؤسستهم وقت تهاطل الأمطار، ولا تنتهي معاناة التلاميذ عند هذا الحد، بل تمتد إلى انعدام وسائل للنقل المدرسي تربط المؤسسة بمختلف الدواوير والأحياء. أكدت رشيدة (تلميذة تقطن بأحد دواوير المنطقة) أنها «تستيقظ في الساعة الخامسة صباحا لعلها تصل إلى المؤسسة في الثامنة»، ما جعلها تتساءل بقلق شديد عن«مصيرها خلال فصل الشتاء»، قبل أن تقاطعها زميلة لها وتنبهها إلى «مشاكل تعانيها التلميذات عند موعد خروجهن خلال الفترة المسائية مع مروجي المخدرات و«الشمكارة»، وغرباء عن الثانوية، ممن يتخذون من جنباتها مكانا لهم للتحرش بالتلميذات، وتهديدهن بواسطة السكاكين»، وطلبت إحداهن من المسؤولين « على الأقل توفير الحماية الأمنية لهن بعدما لم يستطيعوا تجهيز مؤسسة حديثة البناء لتمكينهن وزملائهم من التعلم على الأقل في ظروف عادية.

وتؤثث الأعشاب الطفيلية ساحة المؤسسة، ما جعل التلاميذ يتحولون بدون سابق إشعار إلى مياومين «في الإنعاش الوطني بدون أجرة»، رغبة منهم في بعث رسالة إلى من يعنيهم «الأمر»، «رسالة لها دلالات ومعان كثيرة وتبقى قراءاتها عديدة» على حد تعبير تلميذ يدرس بالجذع المشترك.

ويعاني التلاميذ خصاصا على مستوى الطاقم الإداري والتربوي، وتحلق كثير منهم حول «الصباح» رغبة منهم في «الصراخ بأعلى صوتهم لتوفير أساتذة مواد الرياضيات والإعلاميات والفلسفة ومستلزمات التربية البدنية، وتوفير ملاعب رياضية حقيقية، وتجهيز المؤسسة بحواسيب وربطها بالشبكة العنكبوتية.

للمسؤولين رأي

منع المسؤول التربوي «الصباح» من الحديث إلى التلاميذ، والدخول إلى المؤسسة لمعرفة وجهة نظر أساتذتها ومسؤولها بحجة «عدم التوفر على رخصة من النيابة».

إلى ذلك، أكدت مصادر مسؤولة أن «النائب يعقد اليوم (الأربعاء) لقاء بالثانوية التأهيلية ابن رشد ببرشيد مع كافة الأطر التربوية والإدارية التابعة للدائرة من أجل معرفة همومها ومشاكلها»، مؤكدة في السياق ذاته «عقده للقاء رفقة مدير الأكاديمية مع مسؤولين بجماعة وقيادة الدروة أخيرا أثناء زيارته المفاجئة لمؤسسة الحسن الثاني من أجل وضع حد على الأقل لبعض مشاكلها».

——— سليمان الزياني (سطات)

الشوللي: يجب تحفيز الأساتذة لضمان استقرارهم في المناطق النائية

مدير أكاديمية تادلا أزيلال دعا إلى منح مناصب مالية للأكاديميات وخلق مراكز جهوية للتكوين

أكد محمد خالد الشوللي، مدير الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين لجهة تادلا أزيلال، أن الحديث عن مشاكل التعليم القروي وإكراهاته، يقتضي معالجة المعضلة في شموليتها واستحضار كل الميكانيزمات المرتبطة بها، وكذا خصوصيات المنطقة في أبعادها السوسيو ثقافية باعتبارها محددات أساسية لرصد مكامن الخلل التي تحول دون تحقق منظومة تربوية تلبي حاجيات ومتطلبات المتعلمين بالعالم القروي.

وأشار الشوللي إلى قضية اعتبرها إشكالا حقيقيا ينبغي تناوله بجرأة كبيرة، لتقليص هوة المشاكل التي تتخبط فيها المدرسة بالعالم القروي، والمتمثلة في إشكالية الموارد البشرية لأنها موضوع الساعة، داعيا إلى اعتماد مقاربة حديثة تراعي خصوصيات الجهة وتجسد مفهوم الجهوية واللامركزية في أبعاده الحقيقية، وتجاوز المشاكل التي تعتري منظومة التربية والتكوين بالعالم القروي الذي استطاع تحقيق مؤشرات كمية خاصة في مجال تعميم التمدرس بالسلك الابتدائي والإعدادي، إضافة إلى توفير البنيات التحتية كقاعدة للتمدرس.

وأشار الشوللي، في حوار مع «الصباح التربوي»، إلى ضرورة خلق مراكز جهوية للتكوين لتلبية حاجيات المدرسين وإمدادهم بالأدوات المعرفية اللازمة المتشبعة بروح الخصوصية الجهوية، وكذا توفير تحفيزات لهم ضمانا لاستقرارهم في المناطق النائية سيما في تخوم الجبال، وكذا الرفع من معنوياتهم، وتخصيص مناصب مالية للأكاديميات الجهوية لتوظيف مدرسين جدد حسب الخصاص، تماشيا ونظام الأكاديميات الذي يجسد مفهوم الجهوية في بعدها العميق.

من جانبه، شدد محمد خالد الشوللي على وضع المقاربة التعليمية بشقيها القروي والحضري في سياقها العالمي سيما أن جميع بلدان العالم، بما فيها دول الشمال المتحضرة، تجاوزت مشكل التعليم باعتماد طرق علمية حديثة ميزت فيها بين خصوصيات المناطق الريفية والحضرية، واستطاعت أن تكسب الرهان بإيجاد وصفات ناجعة لمعضلة التعليم.

وأضاف، أن منظمة اليونسكو خصصت فرق عمل دولية تهتم بالموضوع وبكل مظاهر التربية والتكوين بالعالم القروي الذي يرتبط جدليا بالتمظهرات الثقافية وبالخصوصيات الاجتماعية لمختلف الشعوب، خصوصا أن أي مقاربة للموضوع لا تستحضر هذه الخصوصيات الدقيقة والعلمية تتولد عنها نتائج فاشلة.

ولتوضيح مقاربته التعليمية بالعالم القروي، قارن محمد الشوللي بين دول العالم الموزعين إلى دول ينتمي بعضها إلى الشمال المتقدم وأخرى إلى دول الجنوب المتخلفة، إذ تختلف الأنظمة التعلمية وتتباعد كلما نزلنا جنوبا، وتتراجع مؤشرات التمدرس بشكل مثير كلما دلفنا إلى أعماق إفريقيا التي يعيش سكانها وضعا اجتماعيا صعبا.

وقارن مدير الأكاديمية بين بلدان الوطن العربي، مؤكدا أن مؤشرات التعليم بدول العالم العربي التي تقطن بغرب البحر الأبيض المتوسط، تختلف عن تلك التي توجد بشرقه، إذ تتوفر الأخيرة على مدارس تعليمية ذات جودة عالية على غرار الجامعات الإمريكية مفسرا القفزة النوعية التي تشهدها بالترف الاقتصادي الذي تعرفه الدول المعنية (أبو ظبي مثلا).

وقد أعطى الشوللي بانوراما تاريخية عن التعليم بالمغرب قديما، وميز بين التعليم القروي والحضري الذي كانت مدنه وعواصمه الثقافية الكبرى (فاس، مراكش، الرباط) تعرف نهضة تعليمية كان بريقها يغري المتعطشين إلى العلم من شعوب العالم العربي والغربي معا، وكانت تشد إلى مراكزه الثقافية الرحال لنهل العلم من أفواه شيوخه وعلمائه، وشكلت هذه المراكز الثقافية تراثا ثقافيا وعلميا ما زال إشعاعه ممتدا إلى اليوم، في حين ظلت المناطق القروية، عموما، خارج التغطية التربوية والثقافية، رغم وجود نقط ضوء في بعض الزوايا الدينية التي كان أتباعها يتعلمون الحساب والقراءة...

ومع احتدام الصراع مع المستعمر الفرنسي، لعبت المدارس الحرة، في بعض المدن المغربية دورا نضاليا، متمثلا في التوعية الوطنية والتشبث بالوطن ومقدساته، ما أعطى صورة جديدة للمدرسة المغربية التي كرست مثالا جيدا للمواطنة والوطنية الحقة.

في ظل الصيرورة التاريخية للمدرسة المغربية، يضيف المصدر ذاته، تباعدت الهوة بين العالم القروي والحضري الذي تفاعل مع مستجدات الواقع، واستطاع أن يستنبت تعليما جديدا يواكب، نسبيا، ما تشهده منظومة التربية والتكوين من تحولات في العالم، في حين لم يواكب التعليم بالقرية التبدلات التي تقع على أرض المغرب نظرا لتخلف الوضع الاجتماعي والاقتصادي لمعظم الشرائح الاجتماعية بالقرية.

وأشار المتحدث نفسه، أن التعليم بالعالم القروي كان مغيبا من طرف الدراسات والأبحاث التي أنجزت حتى حدود أواخر الثمانينات من القرن الماضي، ما جعل الهوة تتباعد بين التعليم في العالم القروي والحضري، هذا الأخير قطع أشواطا كبرى بفضل التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته المدن المغربية.

وسجل الشوللي محطتين كبريين، خارج ملتقيات إفران التي كانت تعنى بإصلاح التعليم، تناول فيهما المهتمون بشؤون التربية والتكوين في بلادنا معضلة التعليم القروي ببلادنا، الأولى نظمت بالرباط في بداية التسعينات من القرن الماضي والندوة الثانية بمدينة أزيلال « ملتقى الاطس» وكان حضرها وزير التعليم حبيب المالكي وعدد من الفعاليات التربوية وجمعيات

خالد الشوللي

المجتمع المدني، إذ وضع الحاضرون في الندوة الأصبع على المشاكل الحقيقية التي تعتري منظومة التربية والتكوين بالعالم القروي، بعدما كانت معضلة التعليم القروي تتداول بشكل عام في غياب التخصص والاحترافية.

وقال المصدر ذاته « إننا ما زلنا في بداية الطريق، ولم نرق بعد إلى مستويات كبرى تتسم بالاحترافية والنجاعة، سيما أن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أطلقها صاحب الجلالة محمد السادس تتوخى تقليص مؤشرات الهشاشة في الأوساط الفقيرة، وكذا الاهتمام بالعالم القروي بهدف تحسين مؤشرات التنمية فيه، ومن ضمنها مؤشرات التربية والتكوين التي تعتبر رافعة أساسية للرقي بالأمم وتحقيق الرفاهية فيها»

وأضاف مدير الأكاديمية قائلا» إن مقاربة الظاهرة من كل جوانبها تعتبر حديثة مقارنة مع التراكمات التي حققها منظومة التربية والتكوين في بلادنا، إذ لانتوفر على مرجعيات دقيقة نعتمدها في التحليل والمعالجة، إلا أن ملتقى الأطلس الذي نظم بأزيلال سنة 2005 أصدر وثيقة مهمة « مونوغرافيا التربية والتكوين بالمناطق الجبلية « اعتبرها المهتمون بالحقل التعليمي مرجعا أساسيا يطرح مقاربات جديدة للتعليم بالعالم القروي ويرصد مكامن الخلل ويقترح الحلول الممكنة للرفع من جودة التعليم القروي وتحسين مؤشراته «

واعتبر مدير الأكاديمية أن إشكالية تدبير الموارد البشرية تشكل هاجسا يقض مضجع المسؤولين. وأكد أنه عامل أساسي لتقليص الهوة بين مشاكل القرية والمدينة التي تشهد إقبالا ملحوظا من طرف المدرسين بهدف الاستقرار بها، ما يؤثر سلبا على سير التعليم بالقرية التي تشهد مشاكل مستمرة تظهر بجلاء مع انطلاق كل موسم دراسي جديد.

وأكد أن ورش تدبير الموارد البشرية رهان حقيقي ينبغي على كل المهتمين بحقل التعليم الانكباب عليه، وإيجاد حلول لمشاكله مع ضرورة اعتماد مقاربات جديدة تستحضر الخصوصيات الجهوية لكل أكاديمية.

وقال في هذا السياق» إن الحديث عن الجهوية وفلسفة اللامركزية واللاتمركز يقتضي ضرورة عدم تدبير الموارد البشرية مركزيا، إذ صار من اللازم بعد نضج تجربة الأكاديميات على عدة مستويات (تدبير الشؤون المالية مثلا) أن تحظى االأخيرة بتدبير آليات الموارد البشرية، مع تكوينها وفق خصوصيات تستحضر المقومات الثقافية والطبيعية لكل جهة.»

ودعا إلى إحداث مراكز جهوية مرتبطة بخصوصية المجال، سيما أن مراكز التكوين الحالية تمنح تكوينا عاما بعيدا عن استحضار الخصوصيات الجهوية لكل منطقة، مما يصيب المعلمين الشباب أثناء تعيينهم بمناطق جبلية نائية بإحباط شديد يحول دون تأقلمهم مع الوسط الجديد.

ودعا إلى انخراط الجامعات المغربية في ورش تكوين الموارد البشرية لبناء غد أفضل للمدرسة المغربية التي تراهن، في الآجال القريبة، على تعليم جيد يلبي حاجيات المتعلمين، وفق برامج جيدة وموارد بشرية محفزة ومستعدة للعطاء ومؤمنة بعملها وحب وطنها.

وشدد الشوللي على ضرورة أن تحظى الأكاديميات، بناء على المفهوم الموسع للامركزية واللاتمركز، بمناصب مالية للتعاقد مع مدرسين جدد يؤمنون بالخصوصية الجهوية لكل منطقة، بعد منحهم تكوينا رصينا يراعي حاجيات أبناء الجهة ويلبي طموحهم المعرفي والثقافي وفق تعاقد محدد مع المدرس الجديد يحدد الأهداف واستراتيجية العمل لمتبعة، مع ضرورة انخراطه في الدينامية الجهوية ومتغيراتها وأحوالها.

واعتبرمدير الأكاديمية أن ورش الموارد البشرية وإشكالاته المتعددة ملف استراتيجي، ينبغي تدبيره وفق تصور جديد يمنح للخصوصية الجهوية (خصوصا المناطق القروية والجبلية) وكذا مفهوم اللامركزية واللاتمركز أبعادها الحقيقية لتحقيق الرهان المنشود.

وربط الشوللي نجاح رهان التعليم بالعالم القروي، بالتنمية المحلية التي تقتضي الاهتمام بالقضايا الثقافية المحلية ومراعاة الخصوصيات الثقافية التي لن تترسخ إلا بتنشيط المواسم (الفلاحة، الفولكلور المحلي) مؤكدا أنها رافعات أساسية للارتقاء بمجال التربية والتكوين بالعالم القروي.

وأشار الشوللي إلى تجربة فريدة ابتدعتها ولاية جهة تادلا أزيلال لأجرأة مفهوم «الالتقائية» على أرض الواقع، إذ عمد والي الجهة إلى خلق أقطاب تجمع عددا من المصالح، ومن بين هذه الأقطاب قطب « التربية والتكوين والثقافة» ويضم قطاعات (التعليم، التعاون الوطني، الثقافة، كتاب الدولة في الشباب..) وتلتقي هذه القطاعات حول مجموعة من البرامج المبرمجة في الجهة. ومكن التنسيق بين هذه القطاعات، وفق مقاربة العمل الجديدة، من بناء عشرات دور الطالب في مناطق قروية نائية وسط مؤسسات تعليمية ما ساهم في اقتصاد مساحات أرضية شاسعة، وكذا تقديم خدمات جليلة لعديد من المتمدرسين الذين وجدوا فضاءات لإيوائهم ومتابعة دراستهم.

واستعرض محمد خالد الشوللي منجزات الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بجهة تادلا أزيلال التي تحسنت مؤشراتها في العالم القروي، خصوصا تقلص نسب الهدر المدرسي في السنوات الأولى من السلك الابتدائي والإعدادي، وتوسيع بنيات التمدرس التي شملت مناطق نائية وانفتاح الأكاديمية على محيطها الخارجي.

وقال في هذا الصدد، إن خمس سنوات من العمل الجاد مكنتنا من توسيع البنيات التحتية بالعالم القروي سواء من حيث ارتفاع عدد الحجرات المنجزة، وبناء الإعداديات وتغطية عدد من الدواوير، ما سهل من ولوج المتعلمين للمدرسة.

وأضاف أن المشرفين على القطاع التعليمي أصبحوا أمام ظاهرة الطلب على التمدرس الذي أصبح هاجس كل السكان القاطنين بالدواوير والمناطق النائية، وقال إنه مؤشر إيجابي لأن المغرب أصبح يسجل بمدارسه أكثر من سبعة ملايين تلميذ، وتساءل عن مدى استعدادنا لمواجهة طلبات السكان كميا ونوعيا سيما في المناطق الجبلية ذات التضاريس الصعبة؟

وحث على مضاعفة الجهود وتوفير البنيات التحتية لاستقطاب مزيد من المتمدرسين، وانخراط كل فعاليات المجتمع المغربي لإنجاح الأوراش المفتوحة في مجال التعليم مع تركيزه على ضرورة العناية المستمرة بالمنجزات التي تتحقق على مستوى بنيات التمدرس التحتية، إذ قال إنه لا يمكن بناء إعدادية وتوفير كل التجهيزات، لكن بعد مرور سنتين تتلاشى بنيات المؤسسة التعليمية وتتعرض للتلف، وكحل وقائي دعا إلى احتضان الجماعات المحلية وجمعيات المجتمع المدني لهذه البنيات التحتية في إطار المقاربة التشاركية والانفتاح على المحيط الخارجي ضمانا لاستمراريتها.

——— سعيد فالق (بني ملال)